بحث في : المال العام أمانة مجتمعيه – جمع وترتيب الشيخ / رضا الصعيدي

ما معنى المال العام ؟ وما مدى ثقل أمانته ؟وحرمته ؟ وما أسـباب الاعتداء على المال العام ؟ وما عاقبة الاعتداء عليه في الدنيا والأخرة ؟ وما الآثار السيئة الناتج عن خيانة المال العام ؟ وما ثمرات التحلي بخلق الأمانة - مع ذكر نماذج من حياة السلف الصالح -؟ وما الواجب علينا ؟

واليكم هذا البحث في موضوع اليوم .. فليأخذ الامام منه على قدر وقته وحسب فكرته ...

تعريف المال العام وثقل أمانته :

هو كل مال تملكه الدولة ومؤسساتها سواء كان المال نقدًا أو عقارًا أو منقولًا أو منفعة, فكل ذلك مما تجب صيانته, والمحافظة عليه فالمال العام أعظم خطرًا من المال الخاص ، ذلك لأن المال العام ملك الأمة وهو ما اصطلح الناس على تسميته بمال الدولة.

والمال العام ركيزة لنهضة الشعوب ، واستباحتة داء اجتماعي خطير ,ووباء خلقي كبير ,ما فشا في أمة إلا كان نذيرًا لهلاكها .

والاعتداء على المال العام مِن أخطَر القضايا التي تُهدِّد الأمنَ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والتي أخَذتْ صُوَرًا شتَّى؛ منها: السَّرِقات، والاختِلاسات، والرِّشوة، والغلول، وخيانة الأمانة ، واهدار المال العام ، أو عدم دفع حقوق الدوله من رسوم أو استخفاف الموظف بالعمل ، أخذ أموال الناس بالباطل من رشوة واختلاس .

وسوء التعامل مع الممتلكات العامَّة - كالحدائق والمستشفيات والمتنزهات - التي ليس لها مالكٌ معيَّن... يلقي عبئا كبيرا على أصحاب الرسالة والقيم

حتى يبصروا الناس ويوجهوهم الى أهمية وأمانة الممتلكات وأننا محاسبون عليها ... وهي مسئولية مشتركه يتحملها الراعي مع الرعية .

نعمة المال العام في فائدته للكل وليس لشخص :

قال الله تعالى: كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ -الحشر: من الآية7.

ويُستنبط من هذه الآية الكريمة أَن لا يكون المال تحت إمرة قلة من النّاس دون غيرهم. .. ولقد استنبط عمر بن الخطاب من تفسير هذه الآية, عدم توزيع سواد العراق, وجعلها ملكية عامة ينتفع منها الأجيال المُتعاقبة .

ومن السنة النبوية الشريفة: فقد ورد عن رسول الله:« الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ ».- السنن لأبي داوود - جمعية المكنز الإسلامي (3/ 295),وفي رواية أخرى زيد عليه الملح وهذه النماذج ذات منفعة عامة يمكن القياس عليها وليست على سبيل الحصر.(حرمة المال العام في ضوء الشريعة الإسلامية, د. حسين حسين شحاتة,ص21).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً: "وأما أراضي المسلمين، فمنفعتها حقٌ للمسلمين، وولي الأمر قاسمٌ يقسم بينهم حقوقهم، ليس متبرعًا لهم كالمُعير والمُقْطِع" (الحسبة ص40.)

مثل الرعي على المال العام كالوصي اليتيم :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)﴾ (النساء).

لماذا شدَّد الشرْعُ في حُرمة الأخْذ من المال العام (الغُلُول)؟

شدَّد الشرْعُ لأمور، منها:

1- لأنَّ المالَ العام تتعلَّق به ذِمَمُ جميع أفراد الأمة، فمَن أخَذَ شيئًا من المال العام - سَرِقة واغتصابًا ونَهبًا - فكأنَّما سَرَق من جميع أفراد الأمة.

2- لأنَّ الذي يَسْرِق المال العام يَسْرق من الأصول التي بها حماية المجتمع من المجاعات والأَزَمات؛ لأنَّه يُخَرِّب في مال نفسه؛ لأنَّ المال العام كلُّ واحدٍ له نصيبٌ فيه.

3- واستباحة المال العام داء يقتل الطموح ، ويدمر قيم المجتمع .

وهو مسئولية الراعي والرعية :

في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا». وفي رواية: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ».

قال الإمام النَّووي: «هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية ».

ويقول صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يقول: "ما مِن عبدٍ يسترعِيهِ اللَّه رعيَّةً، يَمُوتُ يومَ يَموتُ وهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ، إلاَّ حَرَّمَ اللَّه علَيهِ الجَنَّةَ"(متفقٌ عليه).

عَنْ عَدِيّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيّ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."

من أسباب الاعتداء على حرمة المال العام :

ومن الأسباب المؤدِّيَة إلى الاعتداء على المال العام :

1- ضَعْف العقيدة عند المعتدي، ورِقَّة الدِّيَانة المفْضِية إلى ذلك.

2- سوءُ الْخُلق، وانعدام الْمُروءة، و عدم مُراقبة المولَى - سبحانه وتعالى.

3- عدم تطبيق أحكام ومبادئ دين الإسلام العظيم أو القانون:

والاحتيال على القانون ، تقصير بعض المسؤولين في القيام بالمسؤوليَّات التي حَمَّلَهم الله إيَّاها، وفي هذا المقام نذكُر قولَ عمر - رضـــي الله عنه -: "لو أنَّ بَغْلَةً عَثرتْ في الطريق بالعراق، لسُـــئِل عنها عمر: لِمَ لَم تُمَهِّد لها الطريقَ؟".

عاقبة الاعتداء على المال العام :

بغض الله للسارق ، وحده في الشريعة :

قال الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ} [الأنفال من الآية:58]، وقال سبحانه: {وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} [يوسف من الآية:52]، وقرن الله جل وعلا بين الخيانة والكفر في قوله جلّ وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}[الحج من الآية:38]... إن السارق يحمل نفسه اثم إثمُ كلِّ مَنْ له حق في هذا الأموال والممتلكات العامة، وإذا كانت الشريعة الإسلامية أمرت بقطع يد من سرق فردًا واحدًا إذا كان المسروق في حرز مثله، وبلغ ربع دينار فصاعدًا، ولم يكن الزمن زمان مجاعة، فكيف بمَنْ يسرق الأمة وينهب ويبدد ثرواتها؟!

رد شهادة الخائن :

والخونة لا تجوز شهاداتهم، ولا تقبل أقوالهم، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلا خَائِنَةٍ، وَلا زَانٍ وَلا زَانِيَةٍ، وَلا ذِي غَمَرٍ عَلَى أَخِيهِ" [صحيح الجامع (2486)].

ضياع البركة من البيوت :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ" :إِذَا كَانَتْ فِي الْبَيْتِ خِيَانَةٌ ذَهَبَتْ مِنْهُ الْبَرَكَةُ"- مكارم الأخلاق للخرائطي، ص: 71، رقم 167 .

أنه يمنع من إجابة دعاء صاحبه والقائم به :

فعن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)(المعجم الأوسط للطبراني).

تعجل العقوبة :

قَالَ -صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ-: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَالْخِيَانَةِ، وَالْكَذِبِ " رواهُ الطبرانيُّ وصحَّحَه الألبانيُّ رحمهُ اللهُ.

التعدي على المال العام فساد فى الأرض:

المساس بالمرافق العامة لونًا من الفساد المنهي عنه،فقال سبحانه :وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا (56) الأعراف... ومن الناس مِنْ يقوم برَمْيِ النُّفَايَاتِ والقاذورات وَتَكْسِيرٍ وَتَخْرِيبٍ فى المُتَنَزَّهَاتِ العامة ويحرم الناس من الاِسْتِفَادَةَ مِنْ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ بِسَبَبِ مَا أَصَابَهَا مِنْ تَخْرِيبٍ!!

نفى الايمان عن للخائن :

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قال" :لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ."

يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

قال تعالى (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(آل عمران161) .

قال نفطويه: "سمي بذلك لأن الأيدي مغلولة عنه, أي محبوسة, يقال: غلَّ غلولًا وأغل إغلالًا".. وقال النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ

اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ العَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَنْظُرُ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ "ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ "أَلا هَلْ بَلَّغْتُ" ثَلاَثًا (البخاري).

صعوبة الاختبار عند الصراط :

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الأمانة والرحم تقومان على جنبتي الصراط، فقال" :وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً"، وقال" :وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ ."وَالَّذِى نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ! إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.! فالأمانة تقف على الصراط، فتُكَبْكِب في نار جهنم كلّ من خانها، والرحم تُزِلّ قَدَمَ من قطعها وظلمها- صحيح مسلم.

الشَّمْلَةَ الَّتي أَخَذَهَا لَتَشْتَعِلُ عليه نَارًا :

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مع رَسولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) يَومَ خَيْبَرَ، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا ولَا فِضَّةً، إلَّا الأمْوَالَ والثِّيَابَ والمَتَاعَ، فأهْدَى رَجُلٌ من بَنِي الضُّبَيْبِ، يُقَالُ له رِفَاعَةُ بنُ زَيْدٍ، لِرَسولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) غُلَامًا، يُقَالُ له مِدْعَمٌ، فَوَجَّهَ رَسولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) إلى وادِي القُرَى، حتَّى إذَا كانَ بوَادِي القُرَى، بيْنَما مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلًا لِرَسولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ)، إذَا سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا له الجَنَّةُ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ): كَلَّا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّ الشَّمْلَةَ الَّتي أَخَذَهَا يَومَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عليه نَارًا فَلَمَّا سَمِعَ ذلكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بشِرَاكٍ -أوْ شِرَاكَيْنِ- إلى النبيِّ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ)،فَقَالَ: شِرَاكٌ مِن نَارٍ- أوْ: شِرَاكَانِ مِن نَارٍ-(رواه البخاري).

في الصحيحين عن عمر - رضي الله عنه -: "لَمَّا كان يوم "خَيْبر" أقْبَلَ نفرٌ من صحابة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مرُّوا على رجلٍ، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((كلاَّ؛ إني رأيْتُه في النار في بُرْدَة غَلَّها أو عَبَاءَة))، ثم قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((يا ابن الخطاب، اذْهَبْ فنادِ في الناس، أنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)).

عذاب النار :

قال - صلى الله عليه وسلم : إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة"رواه البخاري.. قال ابن حجر: "أي يَتَصرَّفون في مال المسلمين بالباطل، وهو أعمُّ من أنْ يكون بالقِسمة وبغيرها"فتح الباري شرْح صحيح البخاري..

اثار سيئة لخيانة المال العام :

واعلموا -عباد الله- أن الأخلاق السيئة خبثٌ لا يخرج إلا نكدا, ولذا فللخيانة آثارٌ سيئة على المجتمعات، ومن هذه الآثار:

1-ضعف الثقة والمودة الصادقة بين الناس،وانقطاع المعروف بين الناس:.

والخيانة متى ظهرت في قوم فقد آذنت عليهم بالخراب، فلا يأمن أحد أحدًا، ويحذر كلُ أحد من الآخر، فلا يأمن الصديق صديقه، ولا الزوج زوجه، ولا الأب ولده، وينقطع المعروف فيما بين الناس مخافة الغدر والخيانة.

2-التهاون في إرجاع الحقوق لأهلها:

عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلي الله عليه وسلم قال: "ليأتيَنَّ على الناس زمان لا يُبالي المرء بما أخذ المال، أمِنْ حلال أم من حرام"(البخاري).

3-نزع البركة من حياة الفرد والمجتمع:

وذلك بسبب الوقوع في استباحة حقوق الغير.

4-إيجاد بيئة مناسبة لمرضى النفوس والمتطفلين في المجتمع ، وزعزعة أمن واستقرار المجتمع.

5-تسلط الكافرين، والظالمين على المسلمين

فيسفكون دماءهم ويستبيحون أعراضهم ويأخذون خيارهم.

ثمرات الأمانة على المال العام :

ان الله جعل العاقبة الحسنى لمن ابتعد عن الفساد وكان أميناً مخلصاً في هذه الحياة الدنيا، يقول الله سبحانه: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص:83]، فالذين ابتعدوا عن الفساد بجميع صوره هم الذين لهم الدرجات العلى في الجنة.

قصص ومواقف :

أمانة الحكم :

روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه عين عمر بن الخطاب رضي الله قاضياً على المدينة، فمكث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة كاملة لم يختصم إليه اثنان، لم يعقد جلسة قضاء واحدة، وعندها طلب من أبي بكر الصديق إعفاءه من القضاء، فقال أبو بكر لعمر: أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟ قال عمر: لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجة لي عند قوم مؤمنين عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب عزوه وواسوه، دينهم النصيحة، وخلتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيم يختصمون؟!!

تعفف الخليفة ولو في يوم العيد :

قصـــة عن ســيدنا عمر بن عبدالعزيز ---فى يوم من أيام العيد جاءت بناتُ عمر بن عبدالعزيز، وقُلْنَ لـه: يـا أمير المؤمنين، العيد غدًا، وليس عندنـا ثياب جديدة نَلْبَسُـها ـ بناته يوم العيد لا يَجِدْنَ ثيابًا يَلْبَسْـنَها ـ فماذا كان ردُّ أمير المؤمنين عليهِنَّ؟ ـ نظر إليهنَّ، وقال :يـا بنـاتي، ليس العيد من لبس الجديد، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد!

خوف عمر من المسئولية :

وعن الحســـن قال: أتى عمر ـرضـــي الله عنه- مال كثير، فأتته حفصـــة، فقالت: يا أمير المؤمنين، حق أقربيك، فقد أوصى الله بالأقربين.... فقال يا حفصـــة: إنما حق أقربائي في مالي، فأما مال المســـلمين فلا، يا حفصـــة نصـحت قومك وغشـشـت أباك. فقامت تجر ذيلها (ربيع الأبرار ونصـوص الأخيار 3/ 398).

محافظة الخليفة على المال العام مما يتسبب بإتلافه أو إضاعته:

فكم من أموال تعرضـــت للنهب والســـرقة والتلف بســـبب إهمال الموظف المسؤول عنها –تعالى-.

أخي المسلم لنرى عمر بن الخطاب ـرضي الله عنه-، وهو يحافظ على المال العـام، عَنْ مَوْلَى، لِعُثْمَـانَ بْنِ عَفَّـانَ قَـالَ: بَيْنَـا أَنَـا مَعَ عُثْمَـانَ فِي مَـالٍ لَـهُ بِالْعَالِيَةِ فِي يَوْمٍ صَـــائِفٍ إِذْ رَأَى رَجُلًا يَسُـــوقُ بَكْرَيْنِ، وَعَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ الْفِرَاشِ مِنَ الْحَرِّ، فَقَالَ: "مَا عَلَى هَذَا لَوْ قَامَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى يُبْرِدَ ثُمَّ يَرُوحُ"، ثُمَّ دَنَـا الرَّجُلُ فَقَـالَ: "انْظُرْ مَنْ هَذَا"، فَنَظَرْتُ فَقُلْتُ: "أَرَى رَجُلًا مُعَمَّمًا بِرِدَائِهِ يَسُوقُ بِكْرَيْنِ."

ثُمَّ دَنَا الرَّجُلُ فَقَالَ: "انْظُرْ"، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَامَ عُثْمَانُ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْبَابِ فَأَذَاهُ نَفْحُ السَّمُومِ فَعَادَ رَأْسَهُ حَتَّى حَاذَاهُ فَقَالَ: "مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟" فَقَالَ: "بِكْرَانِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ

تَخَلَّفَا وَقَدْ مُضِيَ بِإِبِلِ الصَّدَقَةِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُلْحِقَهُمَا بِالْحِمَى وَخَشِيتُ أَنْ يَضِيعَا فَيَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهُمَا"، فَقَالَ عُثْمَانُ: "هَلُمَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَاءِ وَالظِّلِّ وَنَكْفِيكَ"، فَقَالَ: "عُدْ إِلَى ظِلِّكَ"، فَقُلْتُ: "عِنْدَنَا مَنْ يَكْفِيكَ"، فَقَالَ: "عُدْ إِلَى ظِلِّكَ"، وَمَضَى، فَقَالَ عُثْمَانُ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَوِيِّ الْأَمِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا"، فَعَادَ إِلَيْنَا فَأَلْقَى نَفْسَهُ.

وعن علي -رضي الله عنه- قال: رأيت عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: بعير نَدَّ من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: لقد أذللت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة (ابن الجوزي: مناقب ص 161).

عن الفضل بن عميرة: أن الأحنف بن قيس قدم على عمر في وفد من العراق، في يومٍ صائفٍ شديد الحر، وهو محتجز بعباءة، يحاول إدراك بعيرًا من إبل الصدقة، شرد، فقال: "يا أحنف ضع ثيابك، وهلم فَأَعِنْ أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، هلا أمرت عبدًا من عبيد الصدقة يكفيك هذا؛ قال عمر: ثكلتك أمك، وأُيُ عبدٍ هو أعبد مني، ومن الأحنف بن قيس... إنها الأمانة والشعور بالمسئولية تجاه الحقوق والممتلكات العامة للمجتمع المسلم.

ورع الخليفة :

ورحم الله الصحابة الأطهار الأخيار، فأنظر كيف كان حال من تعلموا من رسول الله وصاروا على طريقه ولم يميلوا إلى طرق الحرام إذ كان معيقيب على بيت مال عمر، فكنس بيت المال يومًا، فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابن لعمر، قال معيقيب: ثم انصرفتُ إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت، فإذا الدرهم في يده، فقال لي":ويحك يا معيقيب، أوجدتَ

عليَّ في نفسك شيئًا؟ قال: قلتُ: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال " أردتَ أن تخاصمني أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم.

يقول الفاروق عمر رضي الله عنه: "كنا ندع تسعة أعشار الحلال، مخافة أن نقع في الحرام".

بل انظروا إلى فاروق الأمة وعملاق الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرب من لبن إبل الصدقة غلطًا، فأدخل إصبعه وتقيأ، عن زيد بن أسلم أنه قال: شرب عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبنا فأعجبه فسأل الذى سقاه من أين لك هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماء قد سماه فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوا لى ألبانها فجعلته في سقائى هذا فأدخل عمر رضى الله عنه إصبعه واستقاءه) - السنن الكبرى للبيهقي، بل خرج يوما إلى السوق في جولةٍ تفتيشية فيرى إبلاً سمينةً تمتاز عن بقية الإبل بنموّها وامتلائها ، يسأل عمر بن الخطاب : (إبل مَن هذه ؟ فقالوا : هي إبل عبد الله بن عمر ابنك ، وانتفض أمير المؤمنين ، وكأن القيامة قد قامت ، وقال : عبد الله بن عمر !! بخٍ بخٍ يا ابن أمير المؤمنين " (أي الله يعينك) ، وأرسل في طلبه فورًا ، وأقبل عبد الله يسعى ، وحين وقف بين يدي والده أخذ عمر يفتل سبلة شاربه ، وتلك عادته إذا أهمَّه أمرٌ خطير ، فأحيانًا الإنسان يحكُّ رأسه ، أو يحرّك ثيابه ، كل إنسان له طريقة إذا أمر خطير وهو يفكّر ، فقال : " بخٍ بخٍ يا ابن أمير المؤمنين ، ما هذه الإبل يا عبد الله ؟ " فأجاب : " إنها إبلٌ أمضاء (يعني هزيلة) اشتريتها بمالي ، وبعثت بها إلى الحِمى (أي إلى المرعى) أُتاجر فيها ، وأبتغي ما يبتغي المسلمون ، فماذا صنعت ؟ وأيّ ذنبٍ ارتكبته ، وأية خطيئةٌ وقعت فيها ؟ اشتريت إبلاً أمضاء يعني هزيلة ، اشتريتها بمالي ، وماله حلال ، وبعث بها إلى الحمى ، أي إلى المرعى لتسمن حتى يبيعها فيبتغي ما يبتغي المسلمون ، فقال عمر متهكمًا تهكُمًا لاذعًا : " ويقول الناس حين يرونها : ارعَوْا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقُوا إبل ابن أمير المؤمنين ، وتسمن إبل ابن أمير المؤمنين ، فبع هذه الإبل ، وخذ رأس مالك منها ، واجعل الربح في بيت

مال المســـلمين) . هذا إدراك نادر أن هذا ابن أمير المؤمنين ، فلعلَّ الناس أعطوه فوق ما يستحق واستغل منصب أبيه ، ولعلهم أكرموه ، فقال : بع هذه الإبل ، وخذ رأس مالك ، وردَّ الباقي لبيت مال المسلمين.

فمن يجاري أبا حفص وسيرته *** أو من يحاول للفاروق تشبيها

ومن هذه الصـــور: قصـــة عاتكة زوجة عمر والمســـك: فقد قدم على عمر مســـك وعنبر من البحرين فقال عمر: والله لوددت أني وجدت امرأة حســـنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقســـمه بين المســـلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: أنا جيدة الوزن فهلم أزن لك. قال: لا. قالت: لم؟ قال: إني أخشـــى أن تأخذيه فتجعليه هكذا -وأدخل أصـــابعه في صدغيه- وتمسحي به عنقك فأصيب فضلًا على المسلمين!!

فهذا مثل من ورع أمير المؤمنين عمر واحتياطه البالغ لأمر دينه، فقد أبى على امرأته أن تتولى قسمة ذلك الطيب حتى لا تمسح عنقها منه فيكون قد أصاب شيئًا من مال المسلمين !!!

ومن هذه الصور – أيضًا – أن عمر بن عبد العزيز جاءه أحد الولاة؛ وأخذ يحدثه عن أمور المسلمين؛ وكان الوقت ليلًا، وكانوا يستضيئون بشمعة بينهما، فلما انتهى الوالي من الحديث عن أمور المسلمين وبدأ يسأل عمر عن أحواله قال له عمر: انتظر، فأطفأ الشـــمعة وقال له: الآن اســـأل ما بدا لك، فتعجب الوالي وقال: يا أمير المؤمنين لم أطفأت الشـــمعة؟! فقال عمر: كنت تســـألني عن أحوال المســـلمين وكنت أســـتضـــيء بنورهم، وأما الآن فتسألني عن حالي فكيف أخبرك عنه على ضوء من مال المسلمين؟!!

وجاءوا له – يومًا – بزكاة المســـك فوضـــع يده على أنفه حتى لا يشـــتم رائحته – ورعًا عن المال العام – فقالوا يا أمير المؤمنين إنما هي رائحة؛ فقال: وهل يستفاد منه إلا برائحته؟!

الله أكبر !! فأين هؤلاء؟ وأين من نظر للمال العام بأنه غنيمة باردة فأخذ ينهب منها بغير حساب؟!

امانة الشعب من أمانة الخليفة :

لَمَّا قَسمَ سعد الغنائِمَ، حصَلَ الفارس على اثني عشر ألفًا، وكانوا كلُّهم فُرسانًا، كانوا في معركة بدرٍ ليس معهم إلا فارس، وبعضُهم يتعاقبون بعيرًا، وبعضهم مُشَاة، حتى عُقْلَة البعير لا يجدها، وبعَثَ سعد أربعةَ أخماس البساط إلى عُمر، فلمَّا نَظر إليه عمر، قال: "إنَّ قومًا أدوا هذا لأُمَناء"، فقال عَلِي: "إنَّك عَفَفْتَ فعفَّتْ رعيَّتُك، ولو رتَعْتَ لرَتَعُوا"، ثم قَسمَ عمر البِسَاط على المسلمين، فأصابَ عليًّا قطعةٌ من البِسَاط، فبَاعَها بعشرين ألفًا".

خوف الخليفة من النار :

وما أجمل هذه الصورة التي حدثت مع أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه , حيث دخلت عليه ذات يوم عمته تطلب زيادة على راتبها من بيت مال المسلمين ، وإذا به يأكل عدسًا وبصلاً ، فلما كلمته في شأنها ، قام عن طعامه وجاء بدراهم من فضة ووضعها على النار ، ثم وضعها في كيس ، وقال لها خذي هذه الزيادة ، فما إن قبضت عليه حتى طرحته أرضًا لاحتراق يدها من شدة الحرارة ، وكاد يغشى عليها ، وقال لها عمر رضى الله عنه : يا عمتاه ؛ إذا كان هذا حالك مع نار الدنيا ، فكيف بنار الآخرة ؟ وما أنا إلا عبد استودعه الله على خلق من خلقه ، وخازن لبيت مال المسلمين أسأَلُ عن كل درهم فيه يوم القيامة ، فكيف يكون حالي في ذلك اليوم إذا أنا أعطيتك درهمًا واحدًا على باقي الرعية ؟ " .

بنت عمر تطلب عقد اللؤلؤ:

قصه عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي رافع قال: " كنت على بيت مال علي بن أبي طالب عليه السلام وكاتبه، وكان في بيت ماله عقد لؤلؤ

كان أصابه يوم البصرة، قال: فأرسلت إلي بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت لي: بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام عقد لؤلؤ وهو في يدك وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في أيام عيد الأضحى، فأرسلت إليها عارية مضمونة مردودة يا بنت أمير المؤمنين، فقالت: نعم، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام، فدفعته إليها، وأن أمير المؤمنين عليه السلام رآه عليها فعرفه، فقال لها: من أين صار إليك هذا العقد؟ فقالت: استعرته من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به في العيد ثم أرده، قال: فبعث إلي أميرالمؤمنين عليه السلام فجئته، فقال لي: أتخون المسلمين يا ابن أبي رافع؟! فقلت له: معاذ الله أن أخون المسلمين، فقال: كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير اذني ورضاهم، فقلت: يا أمير المؤمنين إنها ابنتك وسألتني أن أعيرها إياه تتزين به فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة، فضمنته في مالي وعلي أن أرده سليما إلى موضعه، قال: فرده من يومك وإياك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي، ثم قال: أولى لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة، قال: فبلغ مقالته ابنته، فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحق بلبسه منى؟! فقال لها أمير المؤمنين: يا بنت علي بن أبي طالب لا تذهبن بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين تتزين في هذا العيد بمثل هذا؟ قال: فقبضته منها ورددته إلى موضعه ".

قصة عمر بن عبد العزيز والشمعة :

ورَحِم الله عمر بن عبدالعزيز سليل الأماجِد الطاهرين، جاءه أحد الولاة وأخذ يحدثه عن أمور المسلمين وكان الوقت ليلاً وكانوا يستضيئون بشمعة بينهما ، فلما انتهى الوالي من الحديث عن أمور المسلمين وبدأ يسأل عمر عن أحواله قال له عمر : انتظر فأطفأ الشمعة وقال له : الآن اسأل ما بدا لك ، فتعجب الوالي وقال : يا أمير المؤمنين لما أطفأت الشمعة ؟ فقال عمر : كنت تسألني عن أحوال المسلمين وكنت أستضيء بنورهم ، وأما الآن فتسألني

عن حالي فكيف أخبرك عنه على ضوء من مال المسلمين ، أطْفَأَ المصباح؛ حتى لا يستعمل مالَ المسلمين في غير ما هو لعامَّة المسلمين.

الغد ليس بأيدينا :

فقال له وزير ماليته: يا أمير المؤمنين، ما ضرَّ لو صرفنا لك راتبَ شهرٍ مُقَدَّمًا، فنظر إليه عمر نظرةَ غضبٍ، تكاد من شدة غضبها أن تهتكَ حِجاب الشمس، وقال له: ثكلتك أُمُّك، هل اطلعت على علم الغيب، فوجدتني سأعيش يومًا واحدًا بعد الآن، صدقت يا أمير المؤمنين، هل يوجد هذا اليقين عند المسلمين في دنيا اليوم؟! هل يتذكرون قول الله - تعالى -: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: 34].

أمانة الحاكم في محاسبة الولاة :

وهذا هو عمر بن الخطاب منحه الله فطنة وذكاء وفراسة، فكان لا يخدع ولا يُخدع؛ من هنا كان يأخذ حذره تماما من عماله، ويشتد معهم في الحساب، بل كان يطلب بياناً من العامل بما يمتلكه عندما يوليه منصبه.

وكان يعزل عمّاله متى رفضه الرعية حتى لو كان أتقى الناس وأعدلهم، فلم يكن يستغني بعدل ولاته وصلاحهم عن رضاء الرعية عنهم. فقد عيَّن سعد بن أبي وقاص على العراق، فرفع أهل العراق شكاية ضد سعد إلى عمر، فعزله عمر، بالرغم من أنه حقق في شكاية أهل العراق ضده، واستمع إلى مرافعة سعد، وأثبت سعد براءته من الشكوى التي رمي بها، إلا أن ذلك لم يشفع لسعد عند عمر وعزله.

ومن التفسيرات التي ذكرها العلماء في سبب عزل عمر لسعد، غير الذي ذكرناه قبل، ما قيل من أن مذهب عمر أنه لا يستمر بالعامل أكثر من أربع سنين "(فتح الباري لابن حجر (2/ 240).

وهذه سنة عمرية راشدية أخرى، من السنن التي يجب التأسي بها لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنن الخلفاء الراشدين. ومما قيل في تفسير هذه السنة : أنها تمنع استغلال الولاة لمناصبهم، وتمنع محاباة الناس لهم إذا علموا أنهم مستمرون في مناصبهم، أو أنهم ماكثون فيها مكثا طويلا، دون محاسبة أو عقاب, فإذا كانت مدة ولايتهم مؤقتة بهذه المدة القصيرة، فإن الرعية لن تخشاهم، ولن يستطيل الولاة على الرعية لخوفهم من العزل..

الواجب علينا :

بذلُ النصحِ والتواصي بالحقِّ :

فكلُّنَا ركابُ سفينةٍ واحدةٍ إذا نجتْ نجا الجميعُ وإذا فسدتْ فسدَ الجميعُ ؛قالتْ زينبٌ رضي اللهُ عنها)) يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ -متفقٌ عليه. .. وقال صلى الله عليه وسلم " إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ، حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ" أخرجه أحمد في المسند... وقال نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)(رواه مسلم).

والواجب على من أخذ شيئا أن يرَدُّه إلى بيت المال - خزينة الدولة:

والقائم بالاعتداء على المال العام بسرقة أو نهب ونحوه، وجب عليه رَدُّه إلى بيت المال - خزينة الدولة - لِمَا روى أحمد وأبو داود والترمذي عن سَمُرة بن جُنْدَب - رضي الله عنه - عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((على اليدِ ما أخَذَتْ، حتى تُؤَدِّيَه))....قال ابن قُدامة - رحمه الله -: "إذا ثبَتَ هذا، فمَن غصب شيئًا، لَزِمَه رَدُّه إنْ كان باقيًا بغير خِلافٍ نَعْلَمه".. وهذا الردُّ مِن تمام التوبة، فإنه يُشترط لصحة التوبة رَدُّ المظالِم والحقوق

إلى أهلها، مع الندَم والاستغفار، والعَزْم على عدم العود ، فإنْ عجَزَ الإنسان عن إرجاع ما أخَذَ أو سيُسبِّب حدوثَ مَفْسدة أكبر بإرجاعها، فإنها تُجْعَل في مَنْفعة عامَّة للمسلمين؛ ـ ذكره النَّوَوي في "المجموع".

فرضُ عقوباتٍ رادعةٍ للمفسدين:

قال عثمانُ ـرضي اللهُ عنه ـ ((إنّ اللهَ يزعْ بالسلطانِ مالا يزعْ بالقرآنِ))أي: يمنعُ بالسلطان باقترافِ المحارمِ، أكثر ما يمنعُ بالقرآنِ، وقانونُ المواريثِ خيرُ شاهدٍ على ذلك .

في قيامِ أهل الحقِّ والإصلاحِ بمسؤولياتِهم :

قال الصادقُ المصدوقُ صلى اللهُ عليه وسلم كما في صحيح البخاريّ من حديثِ النُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)رواه البخاري..

الاستعاذة بالله من الخيانة :

وكان رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ يستعيذ من شر الخيانة فيقول : "اللهم إني أعوذ بك من الخيانة فإنها سوء الخيانة" رواه أبو داود والنسائي, حسنه الألباني..

دعاء الختام :

اللهمّ أرنا الحق حقا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه، اللهم ارفع عنا الوباء والبلاء والغلاء، وأمدنا بالدواء والغذاء والكساء،

اللهم اصرف عنّا السوء بما شئت، وكيف شئت إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير، اللهمّ آمين، اللهمّ آمين.

مع تحياتي اخوكم / رضا الصعيدي.. 01024221073